اغتراب الذات وتشظي الهوية، قراءة نقدية في كتاب (قهوة باليورانيوم) لأحمد خالد توفيق

م.د همام ياسين شكر الماشطة

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/ ديوان الوقف السني

البريد الإلكتروني Email : homamhimam@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الهوية، العولمة، التشيؤ، قهوة باليورانيوم، أحمد توفيق.

كيفية اقتباس البحث

الماشطة ، همام ياسين شكر، اغتراب الذات وتشظي الهوية، قراءة نقدية في كتاب (قهوة باليورانيوم) لأحمد خالد توفيق، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٣،المجلد:١٣، العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مسجلة في Registered
ROAD

مفهرسة في Indexed
IASJ

Self-estrangement and identity fragmentation: a critical reading of the book (Coffee with Uranium) by Ahmad Khaled Tawfiq

Dr.Hammam Yassin Shukr Almashita
Department of Religious Education and Islamic Studies/ Sunni Endowment Office

Keywords : Alienation, identity, globalization, objectification, coffee with uranium, Ahmed Tawfik.

How To Cite This Article
Almashita, Hammam Yassin Shukr, Self-estrangement and identity fragmentation: a critical reading of the book (Coffee with Uranium) by Ahmad Khaled Tawfiq, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2023,Volume:13,Issue 4.

CC BY NC ND
This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The self lives in the shadow of extensive ideological and global discourses, a crisis, and cultural and intellectual alienation. This crisis is magnified whenever the gap widens between what the Self believes in terms of ideas, customs, and values and what it does not believe in and rejects. In every society, there are fixed beliefs and value habits; exceeding them constitutes a flagrant violation of the culture of that society; bypassing them, dissolving them, and then replacing them with new ones robs the self of its culture, social, and religious identity and throws it into alienation and isolation.

This study sheds light on the representations of alienation and fragmentation of identity in the book Coffee with Uranium) by Dr. Ahmed Khaled Tawfik. In the book, literary essays observe in a satirical style the most important Customs and traditions that deepened the crisis of self and its alienation in Egyptian society and at the same time restructured identity and stereotyped it with a pattern that does not

correspond to the Customs and values of society, which resulted in its voices criticizing and criticizing the globalized reality, so to speak The study also reveals the details that the writer employed artistically about the phenomenon of alienation, whether in the title or the text..

الملخص

تعيشُ الذاتُ في ظلِّ الخطابات الإيديولوجية والعولمية المستفحلة أزمةً وغربةً ثقافيةً وفكريةً، تعظم هذه الأزمة كلما اتسعت الهوة بين ما تؤمن به الذات من الافكار والعادات والقيم، وبين ما لا تؤمن به وتنبذه. ففي كلِّ مجتمعٍ ثمة معتقدات وعادات قيمية ثابتة، يُشكِّل تجاوزها انتهاكاً صارخاً لثقافة ذلك المجتمع، فتجاوزها وتذويبها ومن ثم استبدالها بأخرى وافدة وجديدة مما يسلب الذات هويتها الثقافية والاجتماعية والدينية، ويُلقي بها في الاغتراب والعزلة.

تلقي هذه الدراسةُ الضوءَ على تمثلات الاغتراب وتشظي الهوية في كتاب (قهوة باليورانيوم) للدكتور أحمد خالد توفيق، ففي الكتاب مقالات أدبية، رصدت بأسلوب ساخر، أهم العادات والتقاليد التي عمقت من أزمة الذات واغترابها في المجتمع المصري، وأعادت في الوقت نفسه هيكلة الهوية وتنميطها بنمط لا يتوافق مع عادات وقيم المجتمع، الأمر الذي أفرز أصواتها ناقمة وناقدة للواقع المعولم إن صح التعبير وتكشف الدراسة أيضا عن التقنيات التي وظفها الكاتب للتعبير فنياً عن ظاهرة الاغتراب سواء في العنوان أو المتن.

مقدمة

ليس ثمة شك بأنَّ الاغتراب ظاهرة إنسانية قديمة لا يكاد يخلو منها عصر أو مجتمع، هي ظاهرة قديمة تتجدد كلما ازدادت تناقضات الحياة وفوضويتها، واختلت المعايير وتبدلت القيم، وصار المركز هامشا والهامش مركزا؛ لهذا وغيره بدا من الطبيعي جداً أن تستفحل هذه الظاهرة في العصر الحديث، حتى ليجد المتتبع في كل مجتمع بل في كل بيت أنَّ ثمة شعوراً يعتري الفرد نتيجة عارضٍ ما قد يكون نفسياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو غير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى تكوّن فجوة بين الذات والواقع الذي تعيش فيه. تتسع هذه الفجوة بحسب مغذيات ذلك الاغتراب، إلى الحد الذي تعيش فيه تلك الذات بعزلة اجتماعية، نافرة لما يحيط بها، متناقضة مع بيئتها، يحدوها شعور بالإحباط وخيبة الأمل، فالإنسان بحسب ما يقول د. حليم بركات– لا يزال " يزداد اغترابا عن المجتمع والدولة ومؤسسات العمل والتربية والعائلة والدين والحياة بشكل عام، بل عن ذاته أيضا"(١).

تلقي هذه الدراسةُ الضوءَ على تمثلات الاغتراب وتشظي الهوية في كتاب (قهوة باليورانيوم) للدكتور أحمد خالد توفيق، ففي الكتاب مقالات أدبية، رصدت بأسلوب ساخر، أهم العادات

والتقاليد التي عمقت من أزمة الذات واغترابها في المجتمع المصري، وأعادت في الوقت نفسه هيكلة الهوية وتنميطها بنمط لا يتوافق مع عادات وقيم المجتمع، الأمر الذي أفرز أصواتها ناقمة وناقدة للواقع المعولم إن صح التعبير. وتكشف الدراسة أيضا عن التقنيات التي وظفها الكاتب للتعبير فنياً عن ظاهرة الاغتراب سواء في العنوان أو المتن.

الدراسات السابقة

لا توجد على حدِّ علم الباحث أية دراسة نقدية أو فنية أو حتى وصفية لكتاب (قهوة باليورانيوم) سوى سطور متناثرة على مواقع الشبكة العنكبوتية، لا تعطي هذه السطور إلا نبذة قصيرة جدا عن الكتاب. أما فيما يتعلق بموضوع الاغتراب فثمة دراسات عدة تناولت الموضوع من جهات مختلفة اجتماعية وسياسية ونفسية وقد اعتمد عليها الباحث في الدراسة.

أسئلة البحث

ثمة أسئلة وُضِعت ستجيب عنها الدراسة لعل من أهمها، ما الاغتراب؟ وما هي أهم مسبباته، وأشكاله؟ وكيف تمظهر داخل الأشكال الفنية، لاسيما وأنَّ بداياته – كمصطلح نقدي- كانت في حقل الاقتصاد؟ كيف واجه المجتمع شعوره بالاغتراب؟ هل استسلم ورضخ أم ثار وجابه؟ ثم إلى أي مدى استطاعت الأشكال الأدبية أن تنير وعي المجتمع وتنتشله من الضياع القيمي الناتج بفعل تركه لعاداته وقيمه الأصيلة؟

أسباب اختيار الموضوع

لعلَّ من أهمِّ الأسباب التي دعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع هو الحاجة المُلِّحة لإنارة وعي المجتمع وتبصرته بالأسباب التي تؤدي به إلى الاغتراب والعزلة، لاسيما في ظل التلاقح الثقافي والفكري بين المجتمعات العربية والغربية، واختلاط الغث بالسمين، ومحاولات الآخر في طمس القيم والتقاليد العربية وإشاعة نموذج قيمي يتفق مع أفكاره وقيمه.

فرضيات البحث

ثمة علاقة لا يمكن التنكر لها بين الانفجار الفكري والمعلوماتي وحتى التقني وبين حالات الشعور بالاغتراب وضياع الهوية، وهناك أيضا – بحسب ما تفترض الدراسة– أهمية اجتماعية من اقتحام الجانب الأدبي لهذه الظاهرة المهمة؛ كونها ستكشف بصورة فنية عن أهم الأسباب المؤدية للاغتراب، وكذلك عن أهم الحلول الممكنة للحفاظ على القيم والهوية والحيلولة دون تشظيها وضياعها.

الاغتراب، المفهوم المعرفي والاجرائي

نتيجة لتنوع مسببات الاغتراب، واختلاف زمانه ومكانه، يجد الباحث – الساعي إلى تحديدٍ واضحٍ ودقيقٍ لمفهوم الاغتراب– شيئاً من الانفلات الدلالي أو بالأحرى شيئا من اختلاف الدلالات، فتارة يأخذ الاغتراب بعداً اقتصادياً، وتارة أخرى يأخذ بعداً اجتماعيا، وتارة ثالثة يأخذ بعداً سياسيا، وهكذا في كل مرة تتم قراءته وفقا للظروف والمتغيرات التاريخية أو المشاكل الاجتماعية، لذلك تراه مصطلحا زئبقيا بعض الشيء، تُحدَّد دلالته تبعاً لمسبباته، لكنَّه والحال هذه لا يغادر معاني الانفصال والوحشة والاستلاب واللامعنى والعجز [٢]، ولمَّا كان كذلك وجب على الباحث أن يقدم مفهوما إجرائيا يحدد بواسطته المعنى الذي أرداه من مصطلح الاغتراب، ولعلَّ أقرب وأوجز ما يمكن تقديمه هو تعريف (فيجنر) حين قال عن الاغتراب بأنَّه " معتقدات ساخرة تجاه سياق اجتماعي معين، حيث يقوم الانفصال على عدم التوافق بين الخصائص الشخصية للفرد والدور الاجتماعي الذي يؤديه"[٣].

ونظراً لوثاقة العلاقة بين الأدب والمجتمع أصبح الاغتراب واحداً من أبرز الثيمات الأدبية، والروائية على وجه التحديد؛ لأسباب سوسيو – تاريخية تتعلق بولادة الرواية الحديثة[٤]، وأخرى بنائية، تكمن في كون الرواية أو القصة وحتى المقالة ذات فضاء نصي وتخييلي يصلح وبشكل فعال لتمثيل تناقضات المجتمع، بناء على ما يؤثث هذا الفضاء من شخصيات وأمكنة وأزمنة وأحداث مختلفة، لذلك قلما تجد مؤلَفا يأخذ شكلا روائيا أو قصصيا أو مقاليا يخلو من شخصيات مأزومة تعاني غربة ذاتية أو مكانية أو زمانية، لاسيما إذا ما عالج الجنس الأدبي المذكور قضية اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، فلا بد وأنَّ هناك شخصا ما قد اصطدم بعوائق اجتماعية، أو قهرته ظروف سياسية، أو داهمته ثقافات وعادات مستجدة، فعاش على إثر ذلك شعورا من الانفصال والهامشية واللامعنى.

العولمة والاغتراب، من الاقتصاد إلى القيم

لم يعد الحديث عن العولمة يقتصر على البعدين المادي والاقتصادي فحسب، بل أخذ يتعدى وبقوة قضايا الانتاج ورأس المال والسلع وغيرها إلى قضايا اجتماعية وثقافية وفكرية، حتى صار الحديث عن العولمة الاجتماعية والثقافية والايديولوجية وحتى التقنية أمرا لا بدَّ منه في ظل الزحف الرهيب للخط العولمي الساعي إلى تعميم نموذج من السلوك والعادات والقيم وحتى طرائق التفكير.

وبقدر ما سعت العولمة الى إزالة الحدود والحواجز – وتصيير العالم إلى قرية صغيرة في ظنها– فإنَّها عمقت في الوقت نفسه من حالات الاغتراب، لأنَّها جعلت من الطرف المعولَم مستهلكا لقيم الآخر، يعيش حالة غربة وضياع وتشتت، وهو يرى أن قيمه وعاداته أخذت تتلاشى

وتندثر شيئا فشيئا، وتحل مكانها قيما أخرى مستوردة، تتفق مع قيم وعادات الآخر المعولِم، أو على الأقل تمهّد الطريق لتحقيق أهدافه وطموحاته الاستعمارية في الهيمنة والتسلط، يقول محمد عابد الجابري:" فها هي العولمة/الأمركة تعني ما كان يعينه الاستعمار، أقصد أنَّها أعلى مراحل الرأسمالية الجديدة التي أفرزتها الثورة المعلوماتية وما يرافقها من تطور في مجال الاتصال والاعلام"[٥]

أمَّا ما يتعلق بالاغتراب وعلاقته بثنائية الاقتصاد والقيم، فيعلم المتتبع لمفهوم الاغتراب أنَّ الاغتراب من المصطلحات التي أخذت بعدا اقتصاديا–اجتماعيا علاوة على أبعاده الأخرى، فعند (ماركس) يبدو العامل مغتربا في المجتمع الرأسمالي لأنَّه يعمل تحت سيطرة وتصرف الرأسمالي الذي لا يملك المصنع فقط، إنَّه يملك القوة القانونية والاجتماعية التي تخوله أن يستأجر العمال ويتصرف في منتجاتهم بمعزل عنهم ... فهو يعمل في خدمة إنسان آخر وتحت سيطرته ولمصلحته، وكلما ازداد غنى الرأسمالي ونفوذه، ازداد العامل عجزا وفقرا"[٦]. يقول د. فؤاد زكريا : " أصبح العامل في مجرد ترس في آلة الانتاج الضخمة المعقدة، قابل للاستبدال، شأنه شأن أي جزء أصم في أية آلة"[٧]

شيئاً فشيئاً انسحب هذا التعامل المادي إلى العلاقات الانسانية نفسها، فلم تعد هناك علاقات اجتماعية بين الأفراد وإنَّما أصبحت علاقات مادية بحتة، يُعامَل الانسان بواسطتها وكأنَّه مادة أو سلعة لا غير، تماما كما وصفها جورج لوكاتش –حين نحت مصطلح التشيؤ– بأنَّها علاقات مخلة بالمبادئ الانطولوجية للكائن، علاقات آلية، ميكانيكية، جامدة، متجردة من كل حس وجداني أو عاطفي[٨].

ثمة علاقة إذاً بين العولمة والاغتراب، فكلما تغلغل الزحف العولمي داخل المجتمعات، كلما اغترب الانسان عن ذاته وعن مجتمعه وعن دينيه، وفي النهاية عن عاداته وقيميه، الأمر الذي يثبت بما لا يقبل الشك أنَّ العولمة والاغتراب لم يلقيا بظلالهما على العلاقات المادية فحسب، وإنَّما جرَّا العلاقات الاجتماعية إلى جهة المادة والتشيؤ، لذلك فقدت الحياة متعتها في كثير من الجوانب، بسبب افتقارها للسمة الانسانية واقتصارها على السمة المادية، وقد أدى طغيان البعد الاستهلاكي واستفحاله إلى مزيد من الاغتراب، يقول د. فؤاد زكريا: " حين تسود على هذا النحو عقلية الاستهلاك لأجل الاستهلاك... فعندئذ يكون المستهلك بدوره قد اغترب عن ذاته"[٩]. ولعل أقرب ما يمثل هذا قول الكاتب: **(ازدادت الطوابير أمام باعة الكنافة والقطايف، وإن تضاعف الذعر في الوجوه والرعشة.. كأنَّ كل واحد يخشى أن يفوته شيء سوف يظفر به الآخرون.. ولا شك أنَّ الناس كذلك صاروا أكثر شراسة وعدوانية، ولعلها**

أخلاق الزحام، أخلاق الزحام تجعلك تشعر بقلق متزايد من أنَّ رغيفك ليس مضمونا وهناك من سيخطفه في أي لحظة، وقد لاحظ أحد الصحفيين أنَّ كثيرين يفطرون قبل الآذان في موائد الافطار، لأنَّهم يفتكون باللحم بمجرد جلوسهم! لو انتظروا الآذان فلربما اختطف شخص آخر اللحم!)(١٠) فرغم ما يبدو من بساطة الصورة وعفويتها، إلا أنَّها ذات بعد رمزي يشتغل على نقد الايديولوجيا الرأسمالية، التي صيرت معظم البشر إلى مجرد مستهلكين، غرباء، مذعورين، متوحشين، لا يفكرون الا بالمتعة الآنية (الزائفة)، حتى ولو كلف الأمر انسلاخهم من عاداتها وطبائعهم وقيمهم وهويتهم الثقافية، فـ " ثقافة العولمة هي ثقافة اغترابية لأنَّه يتم فيها تغييب الجوانب الوجدانية الانسانية في الانسان واستحضار جانب النزوة"(١١).

وإنَّ من تمثلات الزحف العولمي وفاعليته في ترسيخ اغتراب الذات ما جاء في المقالة الساخرة (MEFARREN MEKARREN)، ففيها ما يلقي الضوء أكثر على تماهي المجتمع مع ثقافة الآخر، بلا وعي أو دراية لما يدور في الخفاء من محاولات تذويب الثقافة والهوية العربية، واستيراد ثقافة وهوية جديدة، إذ " تنحصر أهداف العولمة في الهيمنة والاختراق الثقافي وطمس الهويات المجتمعية"(١٢). يسخرُ الكاتب ممن يتنكر للغته الأم ويستعيض عنها بمفردات أجنبية دونما مسوغ، بل لمجرد متعة آنية، أو لمجاراة الموضة، من دون أن يعي المتنكر أنَّه بذلك يكون وسيلة وأداة لطمس الهوية، فاللغة هي الهوية. يقول الكاتب: **(يمكنك بسهولة أن تدرك أن زحف اللغات الغربية على اللغة العربية هو زحف مغولي لا يرحم، ويحرق القرى ويقتلع الزرع ويهلك الضرع)**(١٣).

وانطلاقا من هذه اليقظة الفكرية، يذكر الكاتب باستهجان وسخرية مستعملي المفردات الأجنبية والعامية العربية، بدل المفردات والتعابير العربية الفصحى مشيرا إلى الزحف اللفظي الرهيب الذي يسميه بالمغولي إشارة إلى همجيته وعنفه.

يقول الكاتب: **(كم مرة قرأت في ردود القراء (نايس.. ثنكس) و(كول) و(لول). وقد قرأت قصائد عصماء لشاب من أقاربي كتبها كلها بطريقة الفرانكوآراب على غرار (7bibty 2alt li) قال لي إن هذه الطريقة أكثر رشاقة وظرفا)**(١٤)، ثم يردف قائلا: **(ويبدو أنَّ نبوءة نزار قباني عن يوم يرغموننا فيه أن نقرأ القران بحروف عبرية ليست شطحة شعرية)**(١٥) ثم يختم بقوله: **(لكنَّ هذا لا يلغي الاحتمال المخيف: أن تصير الفصحى لغة خاصة لا يتعامل معها إلا من يقرأ القران أو يدرس دراسات دينية، بينما المجتمع والصحف وكل شيء يتكلم بلغة النفسنة... ويكتب قصائد المتنبي وامرؤ القيس بحروف لاتينية، ومن يعترف فهو رجل ضيق الأفق)**(١٦).

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume:13 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

لم يبالغ الكاتب حين سمى هذا الزحف بالمغولي، لأنَّه يدرك حق الإدراك أنَّ هذا الزحف وإن كان في ظاهره زحفا بريئا، إلا أنَّه في باطنه ليس كذلك، ومن ثَمَّ نفى الكاتب أن تكون نبوءة قباني عن كتابة القران بالعبرية مجرد شطحة شعرية، إنَّما هي نبوءة واقعية إلى حد بعيد، لاسيما وأنَّ في المجتمع اليوم من يتحدث العربية ويحشر بين مفرداتها مفردات أجنبية، بل قد يصل الأمر إلى أن يتحدث الفرد منا ويضع النصيب الأكبر من كلامه للأجنبية مع بضع كلمات عربية. لذلك تبدو خشية الكاتب من إماتة العربية الفصحى أو حصرها على من يدرس الدراسات الدينية شرعية جدا، في الواقع هي خشية من كل ما قد يصيب الهوية ويشظيها، لأنَّ آثار العولمة لم تعد تقتصر على جانب دون آخر، فكل شيء في المجتمع عُرضة للتغيير والتبديل الطمس، ما دامت الغاية تبرر الوسيلة، أيًا كانت تلك الوسيلة، حتى ولو كانت على حساب الجوانب الثقافية والأدبية، فـ" الإيديولوجيات بجميع أشكالها لديها محرك تاريخي تلاعب به الثقافة المجتمعية لتمرير أهدافها وخططها بهدف نهائي يخلق غربة بين الثقافة (الكل) وبين المجتمع (الكيان) والفرد (العنصر المكون)"(١٧).

هذا وقد دأبت الرأسمالية على تزويق وتنميق الأفكار والاستعانة بكل ما هو جذاب ولافت للنظر، اهتمت بالقشور كثيراً لعلمها بأنَّها ستلاقي وسطا اجتماعيا سيكتفي بالقشور دون لُبِّها، سيأخذ الجديد بلا تقليب أو تمحيص، وسينكب عليه، ويزداد غرابة وبعدا عن قيمه وثوابته دون أن يشعر، عبر هيمنة ناعمة وسرديات إغرائية. يعالج الكاتب هذا الأمر بالتفاتة طريفة، وبأسلوب واقعي جدا، حيث جرَّب أن يعطي إحدى مقالاته عنوانا مغريا ليُثبت للقارئ مدى انجذابه للعنوان مع سذاجة المحتوى، ثم برهن ذلك بقصة طريفة أيضا: **(كان صديق عمري (أيمن الجندي) يصنف الكتب التي لم يعد بحاجة لها، فكنا نأخذها لعم (محمد) بائع الكتب القديمة العجوز ليبدلها لنا، وجدنا لدي (أيمن) كتابا قديما ممزقا بلا غلاف.. تصفحنا محتوياته فوجدناه يشرح بالتفصيل الممل التكوين الهيكلي للجنة المركزية للاتحاد القومي.. مما يعني أن هذا الكتاب غير قابل للتبديل تحت أية ظروف... هنا تناول صديقي الثالث الكتاب وبيد واثقة قطع قطعة من الورق الأبيض بذات الحجم، وألصقها في موضع الغلاف، ثم بخط جميل جدا كتب العنوان: (العشيقة وسفاح النساء)... عنوان عبقري جدا، يداعب الغرائز المنحطة كلها: الجنس والعنف... عندما حملنا الكتاب لعم (محمد) اتسعت عيناه حماسة وأخذ هذا الكتاب بالذات وقال لنا: سوف آخذ أي عدد من الكتب الشبيهة بهذا)**(١٨)

إنَّ حيلة ذلك الرجل في البيع هي بلا شك إحدى إفرازات واستراتيجيات النظام الرأسمالي في جني الأرباح ومضاعفتها، وهي استراتيجية نفعية بامتياز، لا تجد حرجا في أن تتجاهل

الأخلاق في استعمال " أساليب الدعاية والاعلان التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من هذا النظام... يلجأ المعلن إلى الصراخ والتهويل أمام عملائه، ويجذب أنظارهم بلافتات صارخة، ويعمد إلى الشهادات الكاذبة، والمنطق المغلوط"(١٩)، وإثارة الغرائز.

في المقالات إشارات وصور ذكية لخبث الرأسمالية وسعيها الدؤوب في تدجين الناس وتطويعهم، وإرضائهم في الوقت نفسه، ويكون الارضاء عادة ببعض الأفكار والمعتقدات والطقوس المُعدَّة أساسا لأغراض إيديولوجية منها المحافظة على الوضع القائم أو إيهام الناس بحقيقته وواقعيته، عبر استعمال خطابات وسرديات تصطبغ بالصبغة الشرعية رغم زيفها. تعمل هذه الخطابات على تشكيل وعي الطبقات المستغَلة وتوهمهم بأنّهم على الجادة الصحيحة، لكنهم في الحقيقة يزدادون غربة وبعدا عن الطبقة المستغِلة، لذلك لا يعدو أن يكون وعيهم وعيا زائفا، بينه وبين الوعي الحقيقي مسافات كبيرة جدا، يقول د. فؤاد زكريا: " كان الاغتراب ولا يزال ملازما للرأسمالية منذ بداية عهدها"(٢٠).

ولعلَّ من أهم الإشارات إلى ذلك، ما كُتب في مقالة **(مرحبا بكم في سيرك أبو شفة)**، فالمقالة مع بساطتها تحمل بعدا رمزيا يلقي الضوء على فاعلية الوعي الزائف في تشكيل رؤية الطبقات المستغَلة، يقول الكاتب: **(فمولد السيد البدوي يلعب دورا مهما في ذكرياتي.. أسبوع يتصاعد في إثارته وحماسته حتى نصل إلى الليلة الكبيرة. إنَّ الفلاحين في القرى حول طنطا ينتظرون هذا اليوم في شغف، ويدخرون المال لإنفاقه في هذا الأسبوع، وقد لاحظ عالم الاجتماع الكبير (علي فهمي) أنَّ معظم موالد مصر لا علاقة لها بتاريخ ميلاد الأوليا، ولكنه له علاقة بجني المحاصيل!.. أي إنَّ المولد يتم تصميم تاريخه حسب الوقت الذي يكون فيه الفلاح قد باع محصولا معينا وجيبه مليء.. إنّها لعبة اقتصادية لا دور للدين فيها، وعلى هذه الأيام يعتمد دخل كبار تجار طنطا لمدة عام تقريبا)**(٢١).

يزداد الفرد بعداً واغتراباً عن الحقيقة كلما قلَّ وعيه، ولعل هذا هو دأب أية إيديولوجية تروم الهيمنة، لا بدَّ لها أن تُخفي غير ما تُعلن عبر خطابها الذي يسميه (رولان بارت) بالخطاب المحبَّر(٢٢)؛ لأنَّها تُدرك أنَّه متى ما " تصبح الحقائق في متناول أيدي الجميع فإنها تُحرِّرهم من الأوهام والأكاذيب والتضليل" (٢٣). وبحسب فوكوياما " يرتكز حكم الاستبداد على قدرته على استمرار احتكاره للمعلومات "(٢٤).

والأدهى من ذلك أن يعلم المستغَلُ باستغلاله، لكنَّه يحاول إقناع نفسه، أو بالأحرى خداع نفسه كما هو تعبير الكاتب في مقالة **(خداع النفس فن)**، ففي المقالة إشارات رمزية طريفة لسحر الإيديولوجيا في إرضاء الناس بالواقع بنفس المقاسات المُفصلة لهم، وإغرائهم به أيضا،

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume:13 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

حتى يصبح الفرد في دوامة استهلاكية مستمرة، يهرع إلى كل شيء سواء أكان محتاج له فعلا، أو لم يكن كذلك، والنتيجة: مزيدا من الاستهلاك، والاغتراب، والغرق في أوحال الرأسمالية، من هذه الاشارات قول الكاتب: (**هناك مثلا ذلك الرجل النهم الذي نصحه الطبيب بأن ينقص من وزنه ويأكل المسلوق.. هذا الرجل صديقي... دعاني إلى الغداء في بيته في ذلك اليوم، وبدأت المأدبة.. شعرت باحترام بالغ له عندما وضعوا أمامه طبقا من الكوسة المسلوقة، بينما وضعوا أمامي أطباقا دسمة مغرية بحق.. هذا رجل قوي الإرادة فعلا. أنا لا أستطيع أم أملك هذه الشجاعة.**

قال لي بلهجة رثاء للنفس وهو يرشف الحساء الكثيف:

- **معذرةً هذه أوامر الطبيب.**

قلت له متصعبا:

- **أعطاك الله الصحة.**

انتهى من شرب حساء الكوسة.. وظل يرمق الطبق في حسرة، هنا فوجئت بصاحبة الدار ترفع الطبق الفارغ، وتضع أمامه طبقا شديد الدسامة، ثم زوجا من الحمام، وماسورة تسبح في بحر الدسم والبهريز.. وبدأ يأكل في نهم شديد..

فهمت من زوجته بعد ذلك أنَّ الرجل افترض أنَّ أكل المسلوق معناه أن يأكل المسلوق بالإضافة إلى ما كان يأكله في الماضي!

أي أنَّه يأكل المسلوق كنوع من العلاج يؤخذ قبل الأكل!... النتيجة هي أنَّ وجباته تضاعفت وازداد وزنه)[٢٥]

إنَّ خداع النفس هذا وعيٌّ زائفٌ يُبعد الذات عن الوعي الحقيقي، لذلك سينتابها شعور بالاغتراب والقلق، حتى وإن أخفته ولم تعترف به صراحةً. ثمة مسكرات إيديولوجية تزيد من اغتراب الذات، فتتولد عنده دون أن يشعر ما يسميه (خليل أحمد) بـ (سلطة الوهم)[٢٦].

سلوكيات الاغتراب (الرضوخ والمواجهة)

يصبحُ الانسانُ مغترباً، عاجزاً عن قراءة أبجدية محيطه قراءة سليمة – تتفق مع قيمه وعاداته ووعيه وأفكاره– كلما اتسعت الهوة بينه وبين ذلك المحيط، الذي لم يزل يشهد انتكاسات اجتماعية واقتصادية وسياسية، لذلك لا حيلة له إلا أن يقرأ ذلك المحيط بقراءة ناقدة له، ناقمة منه، متمردة عليه أحيانا، وراضخة مستسلمة له أحيانا أخرى.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٤

يلحظ القارئ لمقالات الكتاب – وبالتحديد لردود الأفعال إزاء القيم أو العادات التي أورثت الذاتَ اغتراباً وقلقاً– أنَّ معظم هذه الردود هي انسحاب، أو استسلام ورضوخ أكثر منه تمرد وثورة، ولعلَّ ما تمر به البلاد من ظروف وخيبات أمل سياسية واجتماعية متكررة هي السبب الرئيس في عجز شريحة المثقفين في محاولات الحفاظ على القيم والعادات الثابتة في ظل الضربات العولمية والاستعمارية المستمرة، لاسيما وأنَّ الواقع اليوم هو واقع " تسوده حالة من زعزعة القيم والمفاهيم تتجلى خاصة في ازدواجية التمسك بالتقاليد المتوارثة من ناحية، والاقبال العشوائي على اقتباس كل ما يرد من الخارج على رغم ضحالته ونزوعه الاستهلاكي"(٢٧)، إذ يَعدُّ المتمسكُ بالتقاليد اليوم، المقبلَ على العادات الجديدة المستوردة من ضحايا الغزو الثقافي، الذي يجب ردُّه.

يحاول الكاتب دائما أن يفلسف الأمور ببساطة ويسر، آخذا في الحسبان القارئ الميَّال إلى واقعية الصورة، وسهولة العبارة، فتراه دائما ما ينتقي قصصا من يومياته البسيطة، يجسد بواسطتها النتائج السلوكية التي تصدر عن المغترب، من ذلك على سبيل المثال النص الاتي: **(أبي المسكين وجد نفسه في السيرك فعلا، بالمعنى الحرفي للكلمة، فدس رأسه في الجريدة وحاول أن تمر هذه اللحظات بسرعة.. نفس من يقف على منصة المشنقة بانتظار هبوط الطبلية)**(٢٨).

رغم ما يبدو على الشخصية من امتعاضٍ شديدٍ، ورفض مطلقٍ للوضع القائم، إلا أنَّها آثرت الاستسلام والرضوخ، وهي تدرك أنَّ هذا ليس حلا، لكنها لجأت إليه بوصفه خيارا سلوكيا ناتجا عن حالة الضعف والعجز واليأس(٢٩). وقد صوَّر الكاتب عِظم حالة اليأس هذه وقسوتها، بصورة من يقف على منصة الاعدام، وهو يترقب لحظة موته، لقد تحوَّل المكان/ السيرك، من كونه مكانا أليفا إلى مكانٍ معادٍ، تنفر منه الشخصية وتزدريه، ولعل في وصف الكاتب لموجودات المكان ما يدل عظيم الدلالة على ذلك، وحسب المتلقي هاتين العبارتين **(دكة خشبية مهشمة مليئة بالمسامير)**(٣٠)، **(المفاجأة الثانية: إنَّ البراغيث كثيرة جداً)**(٣١). إنَّ وصفا كهذا ليس وصفا لجغرافية المكان بقدر ما هو وصف للحالة الشعورية للشخصية، التي تعيش قطيعة مع المكان وموجوداته.

وقد يلجأ المغترب، الرافض لواقعه، إلى الانسحاب أيضا حين لا يقدر على التغيير أو المواجهة، والحقيقة أنَّ هذا الانسحاب هو نوع من أنواع الاستسلام؛ لأنَّه لا يغير من الواقع القائم شيئا، بل على العكس سيسعى إلى ديمومته واستفحاله. ولعل مما يدل على هذا قول الكاتب عن نفسه من مقالة (رمضان جانا): **(المسلسلات فقدت مذاقها القديم.. حاولت أن أتابع بعضها فلم أقدر. كانت الكثرة تغلب الشجاعة لكنها اليوم تغلب التميز، مستحيل أن تتابع ٩٨٨٩٧٩٨**

مسلسلا كل يوم، وتحتفظ بسلامة عقلك وتوازنك النفسي... تعال نخرج إذن ما دمنا سئمنا من التلفزيون)[٣٢].

لا شك أنَّ علاماتٍ لسانيةً كهذه :**(حاولت، فلم أقدر، مستحيل، تعال نخرج)** تدل عظيم الدلالة على حجم الاغتراب الذي تعانيه الذات من جهة، وحجم الانسحاب والاستسلام من جهة أخرى، لاسيما وأنَّ الذات لا تقوى على مواجهة أبسط الأمور في المجتمع، فكيف لها أن تواجه أمورها المصيرية الكبيرة، لذلك تتجه إلى العزلة الاجتماعية **(تعال نخرج)**، وهي عزلة نسبية ليست مطلقة إذ "إنَّ العزلة التامة أو المطلقة تبدو مستحيلة، فالفرد قد يكون معزولاً عن القيم السائدة في مجتمعه، لكنه قد يرتبط بأفكار وقيم أخرى تعطيه شعورا بالتواصل وبأنه ينتمي إلى شيء ما"[٣٣].

بالمقابل ثمة صور تبدي مع بساطتها أملا بالمحافظة على القيم والهوية، ربما لا ترقى إلى مستوى المواجهة والثورة لكنَّها قد تشكل في ثباتها بذرة للتغيير من الكائن إلى الممكن، فقد" يتمرد المغترب بدل أن ينسحب أو يرضخ، فيواجه المجتمع... ويعمل على تغيير الأوضاع والتوجهات السائدة "[٣٤]. وفي قصة **(المثقف الستيني)** المذكورة آنفا ما يشير إلى ذلك: **(لقد تغير العالم لكنَّ الأستاذ عبد الظاهر لم يتغير... من أحاطوا به في أيام مجده عرفوا أنَّه لم يتغير... كل الحي يعرف أنَّ الاستاذ عبد الظاهر مثقف وعظيم .... كل من تعاملوا مع الشركة يعتبرون عبد الظاهر علامة يعرف كل شيء)**[٣٥]، وقوله أيضا: **(لذا قرر أن يزور عالم العلماء الأستاذ عبد الظاهر.. وهو بهذا لا يعتبره الأكثر علما، بل كذلك يعتبره الأكثر فحولة.. هذا التقديس شبه الوثني أثار إعجاب عبد الظاهر بنفسه وانتفخت أوداجه)**[٣٦].

إنَّ مبالغة الكاتب في وصف **(الاستاذ عبد الظاهر)** وإضفاء حلة القداسة عليه دون غيره ما كان ليكون إلا لأنَّه قد عدَّه أيقونة تخفف على المغترب حدة الاغتراب وقسوته، حيث أنَّ ثبات **(الاستاذ)** على عاداته وقيمه بما في ذلك قيافته وذوقه، قد يشكل مصدر إلهام لغيره في الثبات على العادات والقيم، رغم كل محاولات التغيير والنمذجة التي تمارس على المجتمع بغية الانسلاخ من القيم، وطمس الهوية.

ثمة صورة أخرى لشباب يقدمون فيلما تسجيليا يمكن عده من الآليات التي يمكن أن تقدم لمواجهة الاغتراب، بواسطة إشاعة ماديات قيمة تواجه وتجابه الماديات التافهة التي انتشرت سريعا بفعل استراتيجيات العولمة في إماتة القيم المجتمعية الثابتة وإبدالها بقيم أخرى لا تتفق مع ثوابت وعادات المجتمع.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٤

(هذا الفيلم التسجيلي... كان قطعة من الفن الرفيع... لحسن الحظ وقع هذا الموضوع في أيدي شباب متحمسين وكانوا يعرفون ما يفعلون... إنَّهم طبيعيون جدا وقد صار من رابع المستحيلات أن تقابل شخصا طبيعيا في هذا الزمن، لا توجد ذرة ادعاء لديهم، وهذا ما نجح الفيلم في اقتناصه)(٣٧).

إنَّ تعجب الكاتب من هذا الأمر وعدِّه غريبا، إنَّما يأتي من امتلاء المجتمع بالمحتويات الهابطة، التي تفتقر إلى المعنى أو الرسالة، ولا تساعد بأي شكل من الأشكال على ترسيخ القيم والعادات بل على العكس هي تساعد على هدمهما وتذويبها، ولعل في قوله: **(إنَّهم طبيعيون جدا ومن رابع المستحيلات أن تقابل شخصا طبيعيا في هذا الزمن)** دلالة بينة على قوة اغتراب الذات وتشظي الهوية، وكأنَّ الذات تعيش في واقع قد تحول كل ما فيه إلى مسخ، فليس ثمة شيء طبيعي فيه، كل شيء قد تبدل وتغير حتى التفاصيل الدقيقة. ولعل من الجدير بالذكر أنَّ هذه الغربة الزمانية ناتجة من "إحساس الشخصية المصرية... بأنَّها تعيش زمنا غير زمانها، وأنَّها تدخل في صراع غير متكافئ مع العصر الجديد، عصر الرأسمالية والعولمة"(٣٨).

صورٌ أخرى يُسلِّي الكاتبُ بها نفسه المغتربة، الصور كسابقاتها ربما هي محاولات خجولة لا ترقى إلى مستوى المواجهة بالمعنى الثوري للكلمة، وإنَّما هي محاولات بسيطة وربما يائسة تخفف على الذات اغترابها ونأيها عن الواقع الجديد. يقول الكاتب: **(ينتابني الذعر على كائنات أخرى مهددة بالانقراض... بائع الدوم والحرنكش والنبق، العجوز الطيب، الذي يدفع عربته أمام المدارس،... بائعة البيض العجوز التي تمر على بيتنا يوم الجمعة، وتجلس على السلم وتتفاوض مع أمي... جيل الأمهات والخالات والجارات اللاتي يعرفن كل شيء، يعرفن كيف يذوبن السمن لإعداد تلك المادة الملحية الشهية (المورته)... يعرفن بالضبط ما يجب عمله بقطعة اللحم الحمراء الغضة الباكية التي خرجت لتوها من بطن الأم ... يعرفن ما يجب عمله بالمشيمة... يعرف كيف يدمسن الفول ومتى تضاف ملعقة سكر في لحظة استراتيجية معينة تضمن له النضج... يعرفن كل شيء عن أبخرة قلي السمك)**(٣٩).

إنَّ تمسك الذات بهذه العادات والسعي إلى ديمومتها، إنَّما يأتي من تمسكها بالهوية والحيلولة دون طمسها، لاسيما في ظل العادات المستجدة التي لم تعد تلقي بالا للأصيل والثابت، وتنجرف وراء كل مستجد حتى وإن خالف المستجد قيمها وهويتها الدينية والقومية، لذلك تعدُّ الذاتُ مثل هذه العادات مما يعزز الهوية ويرسخها، مدركة أنَّ طمسها أو انقراضها أمر عظيم وليس بالهين، وعلى هذا دل قول الكاتب: **(انقراض هذه الكائنات الرائعة هو الأقسى والأخطر من انقراض الباندا أو ذئب تسمانيا أو النسر الأمريكي الأصلع)**(٤٠). قد يندرج هذا النزوع –

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume:13 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

في محاولة مواجهة وقهر الاغتراب– ضمن ما يسمى بالنشاط التلقائي، كونه نشاطا حراً لم يقم به الفرد إلا ليعوّض سيكولوجيا شعور الوحدة والعجز والقلق(٤١).

التجليات الفنية للاغتراب

سجلت ظاهرة الاغتراب حضورا لافتا في أغلب الأجناس الأدبية لاسيما السردية منها، لأنَّ الأدب ببساطة هو نشاط إنساني تنعكس بداخله تجارب الانسان الذاتية والاجتماعية والدينية والسياسية وغيرها، وهو عملية إبداعية يقصدها المبدع ليرسم فنيا تجاربه تلك، متخذا منها وسيلة للتعبير عن أفكاره ورؤيته للعالم، لقصد ما، قد يكون إشباعا لرغبة، أو دفاعا عن قضية، أو نقدا لظاهرة.

والاغتراب –كما أسلفنا– واحد من أهم الظواهر التي ما زالت تؤرق الانسان منذ أمد بعيد، لذلك لا غرابة أن تتسل هذه الظاهرة إلى الأدب بقوة، حتى تبدو كثيمة رئيسية لكثير من الأعمال الأدبية، لاسيما وأنَّ المثقف اليوم يعاني انفصالا عن ذاته وواقعه اليومي بسبب الانتكاسات السياسية والاجتماعية المتكررة مما أدى إلى " تفاقم إحساس المثقف بالغربة و الانعزال، وهامشية وضعه إزاء مؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة، مما جعله يواجه واقعا يبعث على اللامبالاة واليأس والتشاؤم، وانكسار الذات"(٤٢).

فضاء العنونة

يُشكِّل العنوان واحداً من أهمَّ العلامات السيميائية التي تُقدِّم للمتلقي تصورا مسبقا عن المتن، وتأتي أهميته من كونه يحتل حيزا مكانيا استراتيجيا، فهو أول ما تقع عليه عين القارئ، وهو أول وصلة اشهارية تستفزه وتغريه، لذلك أعطاه المبدعون والنقاد أهمية كبيرة، حتى صار بؤرة تواصلية بين الكاتب والقارئ والنص، ومن هنا صار التروي في انتقاء العناوين أساسا مهما في عملية تحقيق الاتصال الأفضل والأقوى بالمتلقي، فللعنوان سلطةٌ تُلقي بظلالها على مُستقبِلِ الرسالة، فضلاً عن إنَّه يضطلع بحمل مقصدية الكاتب إذ " تنبثق عن علاقة العنوان بالكاتب قصدية تتضمن أبعادا ذاتية للمؤلف بما تنطوي عليه هذه القصدية من إيديولوجيا وانفعالات وأحاسيس، وهكذا يبدو العنوان في بُعدٍ من أبعادهِ العلائقية مطيةً لمقصدية الكاتب"(٤٣).

ينبئ عنوان الكتاب **(قهوة باليورانيوم)** بمفارقة غريبة، حيث الاغتراب والتناقض في أوج صوره، ثمة تنافر رهيب بين القهوة واليورانيوم، لكل واحد منهما ميدان يختلف عن الاخر، القهوة شيء واليورانيوم شيء آخر، القهوة مشروب، واليورانيوم عنصر كيميائي مشع، للقهوة ميدانها وجوها الخاص المتمثل بالهدوء والسكينة والتأمل والحب، ولها طعمها المميز، الحلو رغم مرارته،

أو المنكّه بالهال أو الزعفران أو الشوكولاتة أو الكراميل أو ما شابه ذلك، ولليورانيوم ميدان وجو مختلف تماما.

صراحةً يبدو العنوان مستفزا ومثيرا لتساؤلات قد تبدو ساخرة؛ نظرا لغرابة العلاقة بين طرفي العنوان، فالمتلقي المنتظر لتتمة منطقية للعنوان كأن تكون (قهوة بالحليب) أو (قهوة بالزعفران) أو غير ذلك من المسميات المألوفة، يكسر أفق توقعه بعلامة بعيدة كل البعد عن العلامة الأولى، ولعل هذا مما يزيد المتلقي اغترابا وتناقضا. بالتالي لا معنى من اعتباطية العلاقة بين **(القهوة واليورانيوم)** إلا معنى تعميق حالة الاغتراب، والضياع، واتساع الفجوات، واختلال المعايير . فالقهوة التي من الممكن والمنطقي أن تتخذ شيئا ما متفقا مع جوها وطعمها وطقوسها المألوفة، اتخذت شيئا آخر غريبا كل الغرابة عنها، حالها في ذلك حال الانسان المُكره والمُجبر على تبني قيم وعادات لا تتفق مع قيمه وعاداته وطقوسه.

ولا يختلف الأمر كثيرا من جهة تعميق حالة الاغتراب في عنوان أول مقالة تقع عليها عين المتلقي وهو مقالة (**أين ذهب الجميع؟**)، ولعل حيازة هذه المقالة – بعنوانها المثير للتساؤل– لذلك الموقع الاستراتيجي لم يكن عبثيا بل كان قصديا لغاية أرادها الكاتب، وهي ذات الغاية التي دلت عليها اعتباطية العلاقة بين **(القهوة واليورانيوم)**، وأعني بها تعميق حالة الاغتراب والشتات التي يعاني منها المجتمع بما في ذلك الكاتب نفسه، فالعنوان بشكل عام علامة دالة، لا يمكن أن يكون مجرد حلية زخرفية لتعيين للمتن، وإنَّما يرتبط مع المتن بجسور تواصلية تعمق الدلالة وتثريها.

ثمة شعور مخيف قد يعتري المتلقي وهو يتلقى تساؤل: أين ذهب الجميع؟ لاسيما وأنَّ التساؤل عامٌّ لم يخصص بشيء معين، فقد يختلف الأمر كثيرا لو قيل أين ذهب الموظفون؟ أو الطلاب أو النساء... إلخ، إنَّ إطلاق التساؤل وجعله عائما هكذا، يُشعر المتلقي بالوحدة والعزلة والانفصال، تماما كما هو شعور من لم يستطع التعايش والاندماج مع مجتمع تبدلت قيمه وتغيرت عاداته، فأحس نفسه وحيدا مغتربا.

وقريب من ذلك عنوان **(قصة مرعبة)**، فهو الآخر يصب في المصب نفسه، ويثير في المتلقي مشاعر القلق والخوف أيضاً؛ لأنَّه ينبئ عن قصة مرعبة بغض النظر عن ماهية تلك القصة، سواء تناولت الاغتراب بشكل مباشر أو بشكل رمزي غير مباشر، مجرد وسمها بالرعب كفيل بسحب المتلقي إلى الجهة التي يبتغيها الكاتب، الساعي إلى تجسيد حالة الاغتراب والرعب التي باتت تؤرق المجتمع. ولعل من يقرأ المقالة المندرجة تحت هذا العنوان ليدرك بيسر وسهولة كمية الغربة والقلق التي تعتري الكاتب حين جعل مجرد الحديث عن مثقف من جيل الستينيات

يعتني بمأكله ومشربه وقيافته، ويهتم لما يقرأ وما يسمع، لكنه يعيش تناقضات اليوم ومفارقاته، ويحيا وسط أهله ممن فقدوا سلوكيات وأصول الأكل واللبس، جعل مجرد الحديث عن هذا قصة مرعبة، فللمتلقي أن يتخيل هاجس الخوف والقلق الذي من الممكن أن يصيب الكاتب وهو يتناول قضايا مصيرية، وقيما أكثر أهمية من قصة ذلك المثقف.

وقد يأخذ الاغتراب شكلا آخر يبدو ساخرا نوعا ما، إذ استعار الكاتب لإحدى مقالاته عنوانا من أحد أبيات معلقة امرئ القيس وبالتحديد كلمتي (مكر مفر)، ليس وجه الغرابة هنا، وإنَّما الغرابة حينما دوَّن الكاتب الكلمتين بالحروف الانكليزية وكتبها على الشكل الاتي : (**MEKARREN MEFARREN**)، إذ يشير العنوان رغم اقتصاده اللغوي – وحتى قبل النظر في متن المقالة المندرجة تحته– إلى غربة فنية من نوع خاص، وهي اصطفافه عموديا بشكله الانكليزي مع سبعة عشر عنوانا كتبت بالحروف العربية، إنَّ هذه اللعبة الفنية في هندسة عناوين المقالات تُعمِّق حس الاغتراب في نفس المتلقي بمجرد الاطلاع العناوين أي قبل قراءة أية مقالة.

الثنائيات المتضادة

تؤدِّي الثنائيات المتضادة إلى خلق مساحات تعبيرية ودلالية واسعة عن طريق نقاط الفراغ الدلالي التي تتركها والتي تؤدي بدورها إلى إغناء النص، لاسيما إذا كانت علاقة التضاد بين طرفي الثنائية غير مباشرة، أي لم يكن تضادا تقريريا فجا وإنما يحمل بعدا رمزيا يفهم من سياق النص، كأن يذكر الكاتب طرفا، ويسكت عن طرف آخر ليستدعيه المتلقي بنفسه بعد أن يترك له بعض المعطيات، فكلما سكت النص عن قول كل شيء، كلما ازدادت فجواته وازداد انتاج الدلالة.

ثم إنَّ في التضاد المُشار إليه للتوّ حرية تُمنح للمتلقي الذي سيسعى جاهدا إلى ملاحقة المعنى المختبئ بين السطور، بواسطة إقامة أو إيجاد روابط سياقية ودلالية عوضا عن تلك اللغوية والشكلية الظاهرة، ليس على مستوى المقالة الواحدة فحسب، بل وحتى على مستوى المقالات المتعددة.

يحاول الكاتب في أكثر من مقالة أنْ يقيم مثل هذه الثنائيات المتضادة ففي المقالة الثانية المعنونة بـ **(رمضان جانا)** يرصد الكاتب بعض الأصوات التي لم تعد تُسمع مع أنَّها كانت من قبل تُشكل أيقونة وعلامة على ألفة المكان والزمان، على سبيل المثال يتحدث الكاتب عن **(تواشيح النقشبندي)** و**(الشيخ محمد رفعت)** قائلا: (**لرمضان صوت لا شكَّ في هذا، وأنا أضع على رأس قائمة الأصوات صوت الشيخ محمد رفعت الرهيب المزلزل، القادم من عوالم يعرفها**

هو وحده، والذي تقشعر لسماعه وتنتعش. بعد هذا يأتي صوت تواشيح النقشبندي.. هذه تواشيح قد استطاعت أن تكون هي صوت رمضان بجدارة... وصوت من يقول بصوت عال ممطوط: اللهم صل على حضرة النبي ي ي ي)(٤٤)، ويذكر أنَّ هذه الأصوات قد اختفت ولم تعد تُذكر، وهي التي كانت تشكل نكهة وسمة خاصة لشهر رمضان كواحدة من أهم العادات والتقاليد المتوارثة، لقد أدى اختفاءها إلى فقدان الشهر الكريم لصوته ورائحته، وشخصيته الكاسحة المحفورة في الذكريات كما وصفها الكاتب.

لم يذكر الكاتب صراحةً ما يقابل هذه الأصوات، أي تلك التي تقف على الضد منها، اكتفى بذكر الأصوات التي تبعث السكون والاستقرار، وعدل عن تلك التي تثير هاجس القلق والغربة، ليدع للمتلقي حرية تخيلها واختيارها، بناءً على ما يعج به واقعه من أصوات وتواشيح مستحدثة تبعث في النفس هاجس الخوف والقلق والاغتراب، لاسيما وأنَّ الكاتب قد اتخذ منها موقفا سلبيا.

ثمة أصوات وروائح أخرى لا تغادر الاشتغال الدلالي الذي أشرنا إليه، في رمضان كذلك يستذكر الكاتب (**"صوت القلي أو التخمير القادم من المطبخ"، "صوت نيللي"، "صوت شريهان"، "صوت زوزو نبيل"، "رائحة الكنافة والقطايف"، "رائحة ماء الورد")**(٤٥). ولعل من الجدير بالذكر أنَّ القراءة المتأنية لسطور المقالة، تبدي بما لا يقبل الشك، أنَّ القضية ليس في صوت قلي وتحمير أو في رائحة كنافة وقطايف، القضية أكبر من ذلك، يسعى الكاتب في تجسيده لحالة الاغتراب هذه إلى لفت النظر – بأسلوب وجداني وواقعي– إلى تشظي الهوية ومحاولات تذويبها، هو يندب ضياع قيم ومبادئ، وماض يصفه بالرائع، بواسطة ضياع أشياء واقعية بسيطة، متوسلا بتقنية سردية تعمل على "إنارة الحاضر... وتوقيف تدفق الزمن، والابتعاد عن التعجيل"(٤٦)، لقد عمد الكاتب إلى الاسترجاع أو العودة إلى الوراء ليسلي نفسه ويخفف عنها غربتها.

في **(قصة مرعبة)** يقيم الكاتب تضادا دلاليا يبدو أكثر حسرة من سابقه، هناك **(المثقف الستيني)** رمزا للانتماء، والاعتزاز بالقيم والهوية الثقافية، وصونها من خطر التحول والتذويب: **(كان من الطراز الوقور الذي يشرب الشاي في فنجان ويأكل بالشوكة والسكين، كما أنه لا يذهب لشراء ربع حلاوة من دون أن يحمل معه كتابا... وهو لا يرتدي إلا البدلة وربطة العنق حتى لو كان ذاهبا لرتق حذائه)**(٤٧). وهناك على الطرف الآخر ابنه المراهق المنسلخ من هويته، الغارق في وحل الحداثة ببعدها المادي المعولم المتجرد من القيم والجوانب الانسانية:

(ابنه المراهق الوغد لا يكف عن تعذيبه.. ابنه في التاسعة عشر، وهو يعيش مراهقته بشدة وحماسة.. يغني أشياء غريبة جدا)[٤٨].

واضح جدا تضاد الصورتين (صورة الاب وابنه)، وأوضح منه حجم الاغتراب الذي يعيشه **(الستيني)** مع ابنه، بسبب البون الشاسع بين ثقافتهما وعاداتهما، وللمتلقي أن يتيقن من ذلك بمجرد النظر إلى طرفي كل ثنائية، ومعاينة المفارقة الساخرة الناتجة من مقارنة أطراف الثنائيات:

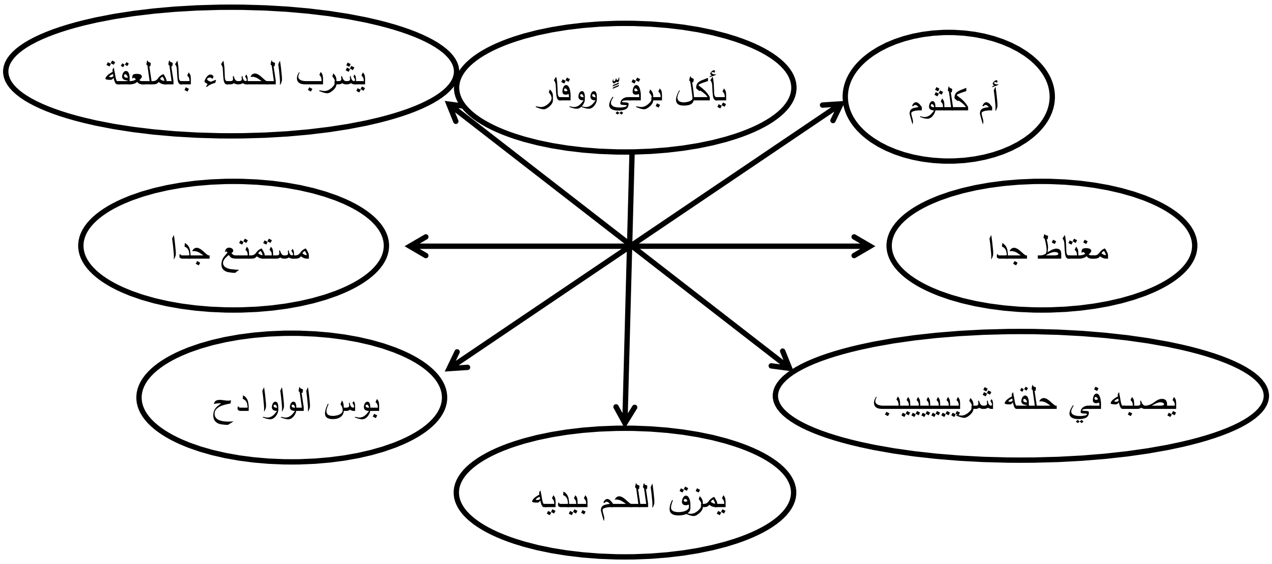

وتأكيداً لحجم الاغتراب الذي بدا أنَّه يلح على الكاتب كثيراً، يضع الكاتب صورة شبيهة بصورة ذلك **(المثقف الستيني)**، ويقارنها بأخرى، في دلالة واضحة على مشاعر القلق والاضطراب التي تسيطر عليه وتجعله غريبا عن الواقع وقيمه وعاداته:

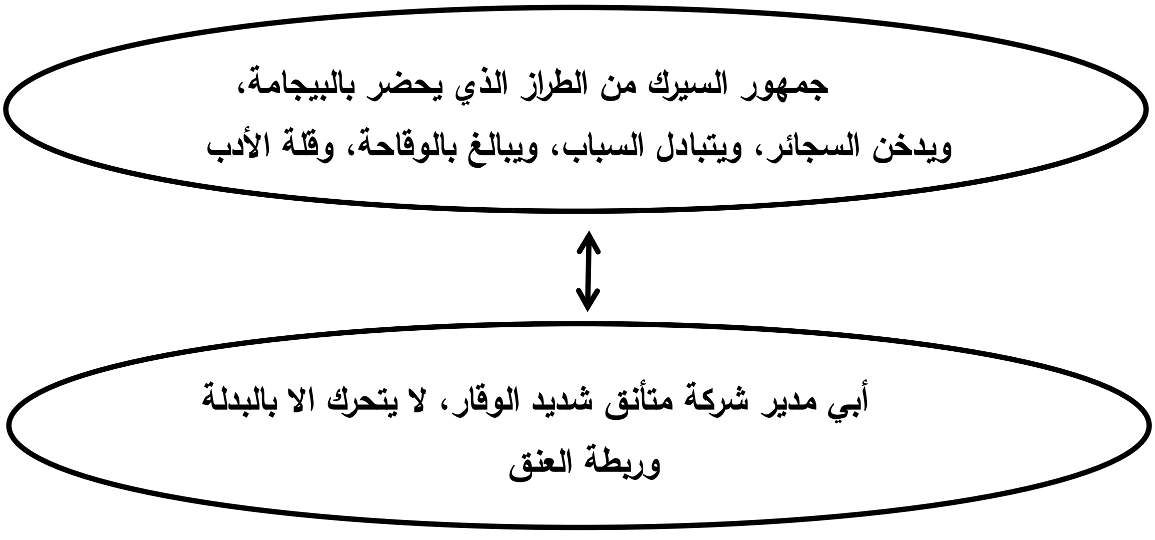

ثمة سببان فنيان جعلا هذه الصورة أبلغ من الأولى في إظهار كمية الاغتراب، الأول: إنَّ السرد جاء معظمه بضمير المتكلم وهو ما أعطى للكاتب مساحةً واسعةً للبوح عن مكنونات وخبايا النفس إلى الحدِّ الذي تبدو فيه الرسالة ذاتية إلى أبعد حدٍّ، وهذا لاشكَّ أنَّه سيُعظم من الأثر الذي يودُّ الكاتب إحداثه في المتلقي، ففي مثل هذا سيفقد " القارئ حياده في متابعة ما يحدث للسارد، وسرعان ما يشعر بأنَّه يُشاركه في هذا الذي يحدث له، وكأنَّه تماهى معه، وكأنَّ ضمير المتكلم بات ضميره هو (أي القارئ)"(٤٩). والثاني: إنَّ الصورة كانت مقارنةً بين (الأب) و(الجمهور) أي لم تكن بين شخصين اثنين كما في الأولى، وقد أوحى ذلك أنَّ الذات في واد، والمجتمع كله في واد آخر، الذات متمسكة بالقيم والثوابت، في مقابل المجتمع المنسلخ منها، فالذات إذاً في غربة داخل المجتمع المتنكر لقيمه، والمتماهي إلى حد بعيد مع قيم الآخر، وهذا هو عين الاغتراب الاجتماعي، من حيث أنَّه "شعور الفرد الانفصال عن المجتمع المحيط به، وإحساسه بالغربة إزاءه... والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة"(٥٠)

يحرص الكاتب في كل مرة على إقامة مثل هذه التقابلات الضدية المنتقاة من واقعه اليومي وحياته الشخصية، بالشكل الذي يؤكد ويبرهن للمتلقي ألفة الماضي، ووحشة الحاضر وغربته. يقابل الكاتب بين دور السينما التي كان يذهب إليها – مع أبيه– في صباه، وبين دور السينما في الأعوام التالية، يحكي عن الهوة الواسعة بين الصورتين في الأفلام المعروضة وفي الجمهور الذي يحضرها أيضا، في السابق عشق منقطع النظير لكل ما يتعلق بدور السينما، الدار نفسه، أركانه، رائحته، أضواءه، عماله، مرتاديه، فضلا عما يعرض على شاشاته. لاحقاً، تغير كل شيء، لذلك حتما ستشعر الذات بالاغتراب وسط الواقع الجديد المهترئ، المكتظ بالتفاهات: (**في الأعوام التالية رأيت كل الأفلام الغربية الرديئة... اليوم لم أعد أهتم به بنفس الجنون السابق، وكعادة كبار السن أقول لنفسي: لم يعودوا يصنعون الأفلام كما كانت في الماضي**)(٥١).

وستشعر الذات أيضا بفقدان اللذة والمتعة اللتين كانت تشعر بهما سابقا: (**كانت الحياة أبسط وأمتع برغم كل شيء، كنا نعرف كيف نستمتع، على كل حال يسهل أن تلاحظ هذا مع الأطفال.. اليوم يملك الطفل تلفزيونا يرى فيه عشرات القنوات، وفي بيته كمبيوتر ولديه جاز بلاي ستيشن، لكنه بالتأكيد ليس سعيدا بالقدر المفترض أو بالمقارنة بأطفال جيلي الذين كانوا يقصون الطائرات من ورق الكراريس، ويتيه الواحد منهم فخرا ببندقية تقذف قطعة من الفلين، لا أعتقد أنَّ أولادي أحبوا أية لعبة غالية الثمن مثلما أحببت أنا الجمل المحشو بالقش الذي ابتاعه أبي لي من جوار السيد البدوي**)(٥٢).

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2023 Volume:13 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

في النص إشارات قد تكون واعية أو غير واعية إلى آفة التقنية المفرطة، ودورها في إماتة الجانب الانساني في العلاقات الأسرية والاجتماعية، كونها باتت تفرض هيمنتها على الإنسان، وتُشكِّل مصدر قلق واضطراب لدى الكثيرين، بعد أنْ غيَّرت الطباع والأخلاق، حتى لتبدو من فرط خطورتها أنَّها قد تُحوِّل الإنسان إلى حيوان آليٍّ كما هو تعبير (هيدجر)[٥٣]. لا ضير في التقنية طالما كانت أداوتها في متناولِ اليدِ، إلا أنْ تُهيمن على الإنسان وتسلبه فكره[٥٤]، وتكمنُ خطورةُ التقنية المفرطة في أمرين، الأول هو أنَّ " الفكر الغربي قد استخدم التكنلوجيا ومعطيات التقدُّم العلمي من أجل تحقيق أعلى معدلات الانتاج المادي ومن أجل إحداث التكديس والتراكم الرأسمالي... وضحَّى في سبيل ذلك بالكثير من المقومات الإنسانية الأساسية، ولم يتردد في التضحية بكثير من الأخلاقيات والمُثل المتعلقة بكرامة الآدميِّ وحريته"[٥٥]. وأما الآخر فيتجلى في أنَّ الهوية – بحسب (هابرماس)– تتغيَّر كلما اتسعت السيطرة التقنية[٥٦]، لذلك اتجهت سهام الكاتب إليها – أي إلى السيطرة التقنية– ناقدة لها ناقمة منها.

الخاتمة

•إنَّ من يقين أنَّ الاغتراب ظاهرة إنسانية وعالمية، فقد تجلَّى في صورة واضحة – بل واضحة جداً– في المجتمع المصري والمجتمعات العربية خاصة، لسبب لعله واضح لدى الجميع، وهو ما منيت به هذه الشعوب والمجتمعات من ضربات استعمارية متعددة.

•إنَّ الشريحة المثقفة هي أكثر الشرائح التي عانت من تداعيات الاغتراب، وتلك ضريبة الوعي الذي تحمله، من أنَّه وعي يفترض أنَّه حقيقي وليس وعياً زائفاً.

•أظهرت الدراسة أنَّ الرضوخ والانسحاب هما السبيل الأبرز للشخصية العربية والمصرية خاصة في مواجهة الاغتراب، فليس ثمة سلوكيات يمكن أن ترقى إلى مستوى الثورة والتغيير بالمعنى الحقيقي للكلمة.

•فنياً اشتغل الكاتب على تجسيد الشخصية المغتربة بواسطة الثنائيات المتضادة، فهي التقنية الأسلم في كشف تناقضات المجتمع وصور اغترابه.

هوامش البحث

(١) الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع: د. حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ٣٥.

(٢) ينظر: الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي: صلاح الدين أحمد الجماعي، دار زهران، عمان، ط١، ٢٠١٠م، ٥٦.

(٣) الاغتراب، نظرة عبر ثقافية: جورج جوثري، باتريشيا تانكو، تر: محمود جاد، دار العالم الثالث، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ١٤٤.

(٤) ينظر: نظرية الرواية وتطورها: جورج لوكاتش، تر: نزيه الشوفي، دمشق، ١٩٨٧م، ٤٣.
(٥) مواقف (إضاءات وشهادات، العولمة ومضاداتها): محمد عابد الجابري، أديما للنشر، المغرب، ط١، ٢٠٠٣م، ٢٢.
(٦) الاغتراب في الثقافة العربية: ٤٠
(٧) الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية: د. فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، عين شمس، ١٩٧١، ٤١.
(٨) ينظر: مراجعة كتاب التشيؤ لاكسل هونيت: ابراهيم مجيديلة، مجلة تبيُّن، العدد ٣٩، المجلد ١٠، ٢٠٢٢، ١٣٧.
(٩) الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية: ٥٤.
(١٠) قهوة باليورانيوم: د. أحمد خالد توفيق، دار ليلى للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ٢٠١٢م، ٢٢-٢٣.
(١١) العولمة والاغتراب الثقافي عند الانسان المعاصر (مقاربة انتروبولوجية): ١١٢.
(١٢) العولمة والاغتراب الثقافي عند الانسان المعاصر (مقاربة انتروبولوجية): ١١١.
(١٣) قهوة باليورانيوم: ١٠١.
(١٤) المصدر نفسه: ١٠١.
(١٥) المصدر نفسه: ١٠٦.
(١٦) المصدر نفسه: ١٠٧.
(١٧) العولمة والاغتراب الثقافي عن الانسان المعاصر (مقاربة انتروبولوجية): ١١٠
(١٨) قهوة باليورانيوم: ١٣٤-١٣٥.
(١٩) الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية: ٤٦.
(٢٠) نفسه: ٥٢.
(٢١) قهوة باليورانيوم: ٧٠.
(٢٢) ينظر: هسهسة اللغة: رولان بارت، تر: د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٩م، ١٥٤.
(٢٣) الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية: ٥٩.
(٢٤) نهاية التاريخ: فرانسيس فوكوياما، تر: د. حسين الشيخ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت. ٢٨.
(٢٥) قهوة باليورانيوم: ٨٦-٨٧.
(٢٦) ينظر: الايديولوجيا في مساراتها من الوهم الى العلم: مجلة الاستغراب (رجوع الإيديولوجيا)، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ع٦، ٢٠١٧م، ٨٨.
(٢٧) الاغتراب في الثقافة العربية: ٩
(٢٨) قهوة باليورانيوم: ٧٥.
(٢٩) ينظر: الاغتراب في الثقافة العربية: ٨٢.
(٣٠) قهوة باليورانيوم: ٧٥
(٣١) قهوة باليورانيوم: ٧٥.
(٣٢) قهوة باليورانيوم: ٢٣-٢٥.
(٣٣) الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي: ٦٩.
(٣٤) نفسه : ٨٣.

(٣٥) قهوة باليورانيوم: ٤٤-٤٧.

(٣٦) قهوة باليورانيوم: ٤٨-٤٩.

(٣٧) قهوة باليورانيوم: ١٦٦-١٦٨.

(٣٨) تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر: د. عادل هنداوي شعبان، مجلة فيلولوجي، ع ٦٧، عين شمس، ٢٠١٧م، ٧٨.

(٣٩) قهوة باليورانيوم: ١١٩-١٢٢.

(٤٠) قهوة باليورانيوم: ١٢٥.

(٤١) ينظر: الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي: ٧٢.

(٤٢) الاغتراب في رواية (البحث عن وليد مسعود) لجبرا إبراهيم جبرا: د. أحمد حسن أبوشلويش، د. إبراهيم عبدالرزاق عواد، مجلة الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، مج١٤، ع٢، ٢٠٠٢م، ١٢٧.

(٤٣) في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية): د. خالد حسين حسين، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٧م. ٩٩.

(٤٤) قهوة باليورانيوم: ١٧-١٨.

(٤٥) قهوة باليورانيوم: ١٩-٢٠.

(٤٦) عناصر السرد الروائية (رواية السيل لأحمد توفيق أنموذجا): الجيلاني الغرابي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط١، ٢٠١٦م، ٤٨.

(٤٧) قهوة باليورانيوم:٤٤.

(٤٨) قهوة باليورانيوم: ٤٥.

(٤٩) السرد بضمير المتكلم في القصة القصيرة العمانية: د. إحسان اللواتي، صحيفة الرؤية، عُمان ٢٠١٨/١/١٧م.

(٥٠) الاغتراب – التمرد، قلق المستقبل: إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، دار صفاء، عمان، ط١، ٢٠١١م، ١٣٦.

(٥١) قهوة باليورانيوم:١٥٢-١٥٤.

(٥٢) قهوة باليورانيوم: ١١٨.

(٥٣) ينظر: الأصل في التقنية، دراسة في نقد أبعادها الانطولوجية: صفاء عبدالسلام علي جعفر، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ع١٥، ٢٠١٩م، ٦٠.

(٥٤) ينظر: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر: إبراهيم أحمد، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ١٣٠.

(٥٥) مفاهيم محورية في المنهج والمنهجية: أ.د منى أبو الفضل، أ.د طه جابر العلواني، دار السلام، القاهرة ٢٠٠٩م، ١٩. وينظر: العلم والتقنية كإيديولوجيا: ٤٤-٤٥. وينظر أيضا: جدل التنوير: ١٤٢.

(٥٦) ينظر: المعرفة والمصلحة: يورغن هابرماس، تر: حسن صقر، مراجعة: ابراهيم الحيدري، منشورات الجمل، كولونيا، ط١، ٢٠٠١م، ٤٦. وينظر أيضاً: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر: ١٤٢.

المصادر والمراجع

إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر: إبراهيم أحمد، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، الطبعة ١، ٢٠٠٦م.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٣ المجلد ١٣/ العدد ٤

الأصل في التقنية، دراسة في نقد أبعادها الانطولوجية: صفاء عبدالسلام علي جعفر، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد ١٥، ٢٠١٩م.
الاغتراب – التمرد، قلق المستقبل: إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، دار صفاء، عمان، الطبعة ١ ، ٢٠١١م.
الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي: صلاح الدين أحمد الجماعي، دار زهران، عمان، الطبعة ١، ٢٠١٠م.
الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع: د. حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة ١، ٢٠٠٦م.
الاغتراب في رواية (البحث عن وليد مسعود) لجبرا إبراهيم جبرا: د. أحمد حسن أبوشلويش، د. إبراهيم عبدالرزاق عواد، مجلة الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، المجلد١٤، العدد ٢، ٢٠٠٢م.
الاغتراب، نظرة عبر ثقافية: جورج جوثري، باتريشيا تانكو، تر: محمود جاد، دار العالم الثالث، القاهرة، الطبعة ١، ١٩٩٦م.
الايديولوجيا في مساراتها من الوهم الى العلم: مجلة الاستغراب (رجوع الإيديولوجيا)، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد ٦، ٢٠١٧م.
تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر: د. عادل هنداوي شعبان، مجلة فيلولوجي، العدد ٦٧، عين شمس، ٢٠١٧م.
الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية: د. فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، عين شمس، ١٩٧١م.
السرد بضمير المتكلم في القصة القصيرة العمانية: د. إحسان اللواتي، صحيفة الرؤية، عُمان ٢٠١٨/١/١٧م.
عناصر السرد الروائية (رواية السيل لأحمد توفيق أنموذجا): الجيلاني الغرابي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الطبعة ١، ٢٠١٦م.
العولمة والاغتراب الثقافي عند الانسان المعاصر (مقاربة انتروبولوجية): يحياوي صفاء، مجلة انثروبولوجية الأديان، المجلد ١٠، العدد١، ٢٠١٤م.
في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية): د. خالد حسين حسين، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٧م.
قهوة باليورانيوم: د. أحمد خالد توفيق، دار ليلى للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ٢٠١٢م.
مراجعة كتاب التشيؤ لاكسل هونيت: ابراهيم مجيديلة، مجلة تبيُّن، العدد ٣٩، المجلد ١٠، ٢٠٢٢م.
المعرفة والمصلحة: يورغن هابرماس، تر: حسن صقر، مراجعة: ابراهيم الحيدري، منشورات الجمل، كولونيا، الطبعة ، ٢٠٠١م.
مفاهيم محورية في المنهج والمنهجية: أ.د منى أبو الفضل، أ.د طه جابر العلواني، دار السلام، القاهرة ٢٠٠٩م.
مواقف (إضاءات وشهادات، العولمة ومضاداتها): محمد عابد الجابري، أديما للنشر، المغرب، الطبعة ١، ٢٠٠٣م.
نظرية الرواية وتطورها: جورج لوكاتش، تر: نزيه الشوفي، دمشق، ١٩٨٧م.
نهاية التاريخ: فرانسيس فوكوياما، ترجمة: د. حسين الشيخ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت.
هسهسة اللغة: رولان بارت، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب، الطبعة١، ١٩٩٩م.

Sources and references

The Problem of Existence and Technology in Martin Heidegger: Ibrahim Ahmed, The Arab House of Science, Publishers, Beirut, 1st edition, 2006 .

The origin of technology, a study in its criticism of its ontological dimensions: Safaa Abdel-Salam Ali Jaafar, Al-Istaghar Magazine, Islamic Center for Studies, Beirut, Issue 15, 2019 .
Alienation - rebellion, anxiety for the future: Iqbal Muhammad Rashid Salih al-Hamdani, Dar Safaa, Amman, 1st edition, 2011 .
Psychological and social alienation and its relationship to psychological and social compatibility: Salah al-Din Ahmad al-Jami', Dar Zahran, Amman, 1st edition, 2010.
Alienation in Arab culture, dream and reality: Dr. Halim Barakat, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1st edition, 2006 .
Alienation in the novel (Looking for Walid Masoud) by Jabra Ibrahim Jabra: d. Ahmed Hassan Abu Shaluish, d. Ibrahim Abd al-Razzaq Awwad, Journal of the Islamic University, Gaza, Palestine, Volume 14, Issue 2, 2002.
Alienation, a cross-cultural view: George Guthrie, Patricia Tanko, TR: Mahmoud Gad, Third World House, Cairo, 1st edition, 1996.
Ideology in its Paths from Illusion to Science: The Journal of Ideology (The Return of Ideology), Islamic Center for Strategic Studies, Beirut, Issue 6, 2017.
Manifestations of alienation in the novel Love in Exile by Bahaa Taher: dr. Adel Hindawi Shaaban, Philology Journal, Issue 67, Ain Shams, 2017.
Intellectual aspects in different social systems: dr. Fouad Zakaria, The General Authority for Scientific Books and Equipment, Ain Shams, 1971.
Narration in the first person in the Omani short story: dr. Ihsan Al Lawati, Al Roya Newspaper, Oman 17/1/2018.
Elements of Narrative Narration (Al-Sail Novel by Ahmad Tawfiq as a Model): Al-Jilani Al-Gharabi, The Modern World of Books for Publishing and Distribution, Irbid, 1st edition, 2016 .
Globalization and Cultural Alienation in Contemporary Man (Anthropological Approach): Yahyaoui Safaa, Journal of the Anthropology of Religions, Volume 10, Number 1, 2014 .
In the theory of the title (an interpretive adventure in the affairs of the textual threshold): d. Khaled Hussein Hussein, Dar Al-Takween, Damascus, 2007.
Coffee with Uranium: dr. Ahmed Khaled Tawfiq, Dar Laila for Publishing, Distribution and Printing, Cairo, 2012.
Review of the book Reification by Axel Hunet: Ibrahim Majidila, Tabeen Magazine, Issue 39, Volume 10, 2022.
Knowledge and Interest: Jurgen Habermas, Refer: Hassan Saqr, Review: Ibrahim Al-Haidari, Al-Jamal Publications, Cologne, 1st edition, 2001 .
Pivotal Concepts in Curriculum and Methodology: Prof. dr. Mona Abu Al-Fadl, Prof. Dr. Taha Jaber Al-Alwani, Dar Al-Salam, Cairo 2009.
Positions (Illuminations and Testimonies, Globalization and Its Opposites): Muhammad Abed Al-Jabri, Adima Publishing, Morocco, 1st edition, 2003.
The theory and development of the novel: George Lukacs, see: Nazih al-Shoufi, Damascus, 1987.
The End of History: Francis Fukuyama, Translated by: dr. Hussein Al-Sheikh, House of Arab Sciences for printing and publishing, Beirut.
The Hissing of Language: Roland Barthes, Translated by: dr. Monther Ayachi, Center for Civilization Development, Aleppo, 1st edition, 1999.